

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فَلَا تَحْقِرَنَّ كَيْدَ الْعَدُوِّ فَرِمَمَا

تَمُوتُ الْأَفَاعِي مِنْ سُمِّ الْعِقَارِبِ

فَقَدْ هَدَّ قَدَمًا عَرْشَ بَلْقَيْسٍ هُدْهُدٌ

وَحَرَّبَ فَأَرْ قَبْلَهُ سَدًّا مَارِبِ

يبدو أن ملك سليمان العريض ليس قاصراً على امتلاك نواصي الإنس والجن والشياطين والزرع والطير والوحوش، بل من روائع ملكه قدرته الفائقة على ضبط مملكته الواسعة، فلم يشغله الحمل عن تفقد الأرنب، ولا النسر عن ملاحظة العصفور. إنه كان فائق اليقظة، واسع الإطلاع، دائم التفقد: ﴿وَتَقَدَّ الطَّيْرُ فَقَالَ مَا لِي لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾. [النمل: ٢٠].

ينبغي إدراك مدلول: ﴿فَقَالَ﴾؛ إذ رُبطَ بفاء التعقيب؛ وذلك يعني أنه بمجرد إلقاء نظرة عجل على مراتب الطيور المناوبة في خدمة الموكب الملكي المهيب أدرك على الفور أن مكان طائر الهدهد شاغر، وهو طائر صغير من فصيلة العصافير؛ ولأنه لم

يطلب الإذن في ترك موقعه- قال: ﴿أَمْ كَانَ﴾ أي: بل ﴿كَانَ﴾
مِنَ الْقَائِلِينَ﴾.

وهذا أمر ليس سابقة، وسيُعرضُ نظام الانضباط في جهاز
المملكة إلى التسبب، وخذش هيبة الدولة. وكيف يتجرأ على
هذا؟ أليس بإمكانه أن يطلب إذناً؟ وهو يعلم أن حقه مكفول،
وأن سليمان قبل أن يكون ملكاً حازماً مهيباً هو نبيٌ عادلٌ
رحيم؛ لذا لا بد من الردع المناسب، وهو ما صرح به سليمان في
قوله: ﴿لَأَعَذِّبَنَّكَ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ نَأَذِّبَنَّكَ أَوْ لِيَأْتِيَنَّ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾
[النمل: ٢١].

يا للهول ربما الهدهد تعرض لتنف ريشه، وحرمانه من نعمة
الطيران والخيلاء بتاجه في الجوى، والقدرة على الوقوف في الهواء
دون عناء، وإلحاقه بالزواحف، وتعريضه لمخالب القطط،
ولدغات الهوام، أو الموت ذبحاً حسب نتائج التحقيق، إلا أن يأتي
بعذر واضح وضوح الشمس فله حكمه: ﴿فَمَكَتْ غَيْرَ
بَعِيدٍ﴾ [النمل: ٢٢]. وإذا به يطأطئ رأسه تحية للقائد الأعلى العارف
بلغته، وبعد سؤاله عن سبب غيابه، أجاب جواب مُدِلٍّ بعلمه بما
لم يعلمه قائده الأعلى، ومطمئنٍ بإفلاته من العقاب لأنه

كان في مهمة خطيرة تشبه رحلة ماجلان، فقد جاء لسليمان بمملكة سبأ، وضم لملكه حضارة اليمن، ومن عجائب هذه البلاد وحضارتها أنها أنجبت امرأة استفردت بذكاء أسطوري، وعقل لا تساوي عقول حكماء اليونان عنده مثقال ذرة، تَعَجَّبَ من نباهتها خالقها، ونَوَّهَ بخطرها بارؤها.

وهي وإن لم تهتد السبيل إلى عبادة الله، لكنها سرعان ما اكتشفت خروجها وقومها عن الفطرة، فمسحت غبار الضلال كما يُمسح الصداً من كريم المعادن.
فلندع الهدهد يلقي على مسامعنا تقريره الوجيز الذي لخصه في قوله:

- ﴿أَحْطَتْ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنْتًا يَمِينًا﴾ [النمل: ٢٢].

- بماذا أحطت يا لؤلؤة الطير؟ وماذا وراءك؟

- قال: ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ

عَظِيمٌ﴾ [النمل: ٢٣]. قال سليمان وهمه وعينه على الدين:

- وماذا عن دينها؟ هل تعبد الخالق العظيم الذي بَوَّأَهَا

ما هي فيه من الأبهة والنعيم، وخصوبة وديان مآرب

والجوف؟

- قال: يا للأسف يا سيدي.. ﴿وَجَدْتُمَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَكَنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۗ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۗ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [النمل: ٢٤: ٢٦].

- قال سليمان بعد سماع هذا الكلام الرصين الذي يترتب عليه مصير أمة: ﴿سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [النمل: ٢٧]، فلا محيص من البحث والتمحيص، ولست منمنن يُطْرِبُهُ الإنشاء، فيحكم بالخبر العاجل، ويتصرف بمجرد سماع وشاية.

فأخذ الدواة والقلم وخطَّ كتاباً إلى ملكة سبأ ورماه إلى الهدهد وقال: ﴿ادْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَالِقَةَ إِيَّهِمْ ثُمَّ قَوْلًا مِنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِئُونَ﴾ [النمل: ٢٨].

طار الهدهد وبعد فترة ليست طويلة دخل الطير الملكي النبوي قصر بلقيس دون حاجة إلى إذن من الحراس الشداد، سواء كانوا من مأرب أو الجوف أو بني عرجلة، وألقى الكتاب إلى الملكة، ثم تأخر عنها وظل يرقب من بعيد كيف

تتصرف إزاء هذا الخطب الجلل، وبأي أسلوب تدير الأزمة التي وضعت مستقبل بلادها في مهب الريح، فإن هي أخطأت صار مُلْكُهَا هَشِيمًا تذرّوه الرياح.

جعل الهدهد يجتلس إليها النظر من حيث لا تراه، فشاهدها تتأمل الكتاب قائمة تتمشّي على بُسْطِ الحرير، بقديمين أرق من الحرير، وَقَدْ وَجَمَالُ يُخَجِّلُ حور الجنة، تُحدِّقُ في سطور الكتاب القليلة بعيني ظبي وصقر، وأدارت بوجهها إلى جهة الهدهد، واضعةً كتاب سليمان على رأسها، وأشارت له أنها تود أن تُنَحَرَ له الذبائح وتقيم مأدبة ضيافة على شرفه، تدعو لها كبار دولتها، فطأ رأسه وذيله شاكرًا، وحرك عذبة رأسه ضاحكًا؛ متأسف أنه ليس في قائمة طعامه الحنيد، والجدي المشوي، واللحم المفروم، وأنه قد اصطاد لتوه جرادتين من بستان القصر، وقد وجدتهما سمينتين شهيتين، وكان بوْدِه اصطيد بعض الفراشات لولا أن بعض الحراس صوب إليه سهمه إن عاد للتحليق في سماء البستان.

فطمأنته وأرشدته إلى شجرة مثمرة في ناحية البستان
ملبئة بالزنابق ريثما تتدبر أمرها.
أوعزت إلى كبير الموظفين أن يجمع لها قومها؟ فاتجهت
النجائب السريعة، وضربت الطبول على رأس كل جبل،
فهبت القبائل كسحاب الصيف، مسرعين ملبين نداء
ملكتهم التي هي بمثابة سواد عيونهم، يقدونها بالنفس
والنفيس، فقد وفرت لهم سبل العيش الكريم، وأحدثت من
الأنظمة الراقية ما جعل مواطنيها سعداء آمنين، يعافون الظلم
كما تُعاف اللحمة المنتنة في يد المجدوم، وصار الإيثار بينهم
خلقاً وعادةً، وتأسس بينهم نظام الأمن القبلي. فالقبيلة
مسئولة عن كل ما يحدث في ساحتها، وهي في تركيبها تبدأ:
بالشيخ ثم العرائف؛ والعريفة عبارة عن: مندوب مقدم للبدنة
أو الفخذ داخل القبيلة، ثم الأعيان: وهم أناس ناهون؛ لكن
وَضَعَهُمُ القيادي تحت العريفة، ثم الأفراد. ثم يتكفل المشايخ
أحياناً تحت رئاسة شيخ المشايخ. وشيخ المشايخ غالباً ما

يكون عارفاً بكل أعراف وأسلاف القبائل، فيكون المنهى
لحل المشاكل.

ومن أعراف القبيلة أنها تضرب الطبل عندما يطرأ أمر
يستدعي اجتماعها؛ لرد خطر، أو إرغام أحد أفرادها، أو
حتى الفخذ كاملاً على امتثال ما حُكِمَ به عليه.

كذلك عندما يلجأ مظلوم يفر من قبيلته إلى قبيلة أخرى
فلا تقبله حتى تُتَحَقَّقَ من عدالة مطلبه، وإما أن يطلب المؤاخاة
واعتباره واحداً من أفراد القبيلة، وإما أن يطلب اللجوء
المؤقت حتى يأخذ حقه بمعونة القبيلة التي استجار بها. ويقوم
فقيه القبيلة الديني بتقديم الفتوى الدينية.

فالقبيلة برجالها ونسائها وصغارها وكبارها مشبعة
بثقافة المسؤولية التضامنية عن حماية الساحة، فلا يكاد يمر
شيء غير معروف حتى لو كان المار من الطير أو الوحش إلا
رصدته القبيلة؛ إذ كل أفرادها عيون وآذان. ويعد من الفخر
اكتشاف أي خطر وإبلاغ الشيخ به فوراً، ومن النذالة والغباء

والجن أن يعجز أي فرد من أفراد القبيلة عن مواجهة أي
خلل بمفرده، أو بالاستعانة بغيره بحسب الحال، وكذلك
يوصم بالغباء إن لم يكتشف الدخيل.

والخلاصة فالقبيلة عبارة عن جهاز مغلق في غاية التنظيم
والدقة، فهي عبارة عن جهاز أمني وثكنة من ثكنات الدولة، لا
تكلف خزينة الدولة مثقال ذرة، بل إن القبيلة تدعم خزينة
الدولة، باعتبار أن رئيس الدولة بمثابة شيخ مشايخ البلاد؛ ولهذا
إن لم يكن رأس الدولة قوياً عادلاً كان عرضة للانقضاض عليه،
أو الاستهزاء به، والسخرية منه.

فالملكة بلقيس كانت حازمة قوية بارعة، ينبض قلبها
بحب قومها، فهي ليل نهار تبتكر الوسائل التي ترتقي بهم إلى
مستوى أرقى الحضارات في زمنها، بل سبقت حضارات
الزمان الذي نحن فيه، ولا أدل على ذلك من ترسيخ النظام
الديموقراطي المدهش.

ها هي الملكة بلقيس واسمها كما جاء عن علماء الأنساب:
يلقمة بنت اليشرح، وقيل: ابنة ايلي الشرح، وقيل: ابنة

ذي شرح، بن ذي جدن، ابن ايلي شرح، بن الحارث، بن قيس،
بن صفى، بن سبأ، بن يشجب، بن يعرب، بن قطحان^(١)، تعتلي
المنصة، وتلقي التحية على رجالها الأبطال الذين ردوا بزامل زلزل
الأرض: (النفوس والنفوس، في اليوم العبوس، تفدي عماد العز،
تاج المملكة بلقيس).

طأطأت رأسها حباً واحتراماً لشعبها الذي جرى حبه
في دمها وقلبها، أنصت الجمع حتى لا يُسمع حسٌ ولا همس؛
إجلالاً وإكباراً، فابتدأت قائلة: حيّا الله وجوهكم، وسعدت
برجولتكم وشهامتكم بلادكم، وأفتخرت بخدمتكم ملكتكم،
هل شعرت يوماً بتقصير، أو وضع أحدكم يده على ظلم، أو
وقع بصره على إهمال، فإن حدث شيء بمرأى مني ومسمع
ولم أحرك ساكناً فلا أستحق حبكم وطاعتكم، وسأسلّم تاج
الملك الآن إليكم؟

(١) الطبري ٩٨٤/١.

صاحوا بأجمعهم بالزامل المدوي: (الظلم ماله من أثر،
والعدل في الشعب استقر، لا غش لا فوضى ولا في أرضنا
إهمال).

أشكركم، وأذكركم أني لا أجد ما أكافئكم به أكثر
من رعاية شئونكم، وحماية مصالحكم، فتلك سعادتي، وهل
أسعد عندي من خدمتكم يا عشيرتي وأهلي؟

تقدم زعماء قحطان^(٢) إلى المنصة الملكية، وأدوا تحية الولاء
والطاعة، وسألوا الملكة عن سبب دعوتهم؟ فقالت: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّ
أَلْقَى إِلَيَّ كِتَابَ كَرِيمٍ * إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَّا
تَقُولُوا عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ ثم: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَتُّونَنِي فِي أَمْرِي مَا
كُنْتُ قَاطِمَةً أَمْرًا حَتَّى تَتَّبِعُونِ﴾ [النمل: ٢٩: ٣٢].

فأنتم أصحاب القرار، وبيجربكم تحرس الديار، وليس
من حقي أن أستبد بأمر خطير كهذا دونكم، ولعلكم لمستم
في إرسال طائر الهدهد، وصرامة الكتاب، ووجازته أن

(٢)

المُرْسِلَ كَبِيرِ الشَّانِ، وَإِلَّا لَمَا تَجَرَّأَ عَلَى بِلَادِنَا، وَانْتَهَكَ
سِيَادَتَنَا، وَهَاهُوَ الْهَدَّهِدُ فِي أَنْتِظَارِ الرَّدِّ، فَمَاذَا تَرُونَ؟
جَاشَتْ الْحِمِيَّةُ فِي نَفُوسِهِمْ، وَأَلْهَبَ الْحِمَاسُ الْوَطَنِي
مِشَاعِرَهُمْ، فَجَرُّوا سِيُوفَهُمْ، وَأَشْرَعُوا رِمَاحَهُمْ، وَأَخَذَ كُلُّ رَجُلٍ
كَفًّا مِنْ تَرَابٍ وَنَثَرَهُ عَلَى رَأْسِهِ تَعْبِيرًا عَنْ بَذْلِ أَرْوَاحِهِمْ فِدَاءً
لِكُلِّ حَبَّةِ رَمَلٍ مِنْ أَرْضِهِمْ الْحَبِيبَةِ وَ﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأَوْلُوا بِأَسِي
شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ [النمل: ٣٣] أَنْتِ أَيْتَهَا الْمَلِكَةُ
الْعَظِيمَةَ رَمَزَ السِّيَادَةَ الْوَطَنِيَّةَ، وَقَدْ سَعِدَ بِكَ الْأَرْضُ وَالْإِنْسَانُ،
وَقُلْ أَنْ يَجُودَ بِمِثْلِكَ الزَّمَانُ، أَوْ تُنْجِبَ شَبِيهًا لَكَ حَفِيدَاتٍ سِبَاءً
بَنَ يَشْجِبُ بَنَ يَعْرَبُ بَنَ قَحْطَانَ، فَالْبِلَادُ فِي حِصْنِ حَصِينِ
بِقِيَادَتِكَ الْفِدَى، وَسِيرَتِكَ الْعَاطِرَةَ الْعَادِلَةَ، وَإِنَّا وَجَدْنَا فِي ذِكَاكَ
النَّادِرَ، وَعَقْلَكَ الرَّصِينَ، مَا يَجْعَلُنَا نَسْلَمُ إِلَيْكَ مَقَالِيدَ التَّصَرُّفِ
الْمَطْلُوقِ، فَالرَّأْيُ مَا تَرِينَ، وَنَحْنُ زَنْدُكَ الرَّادِعُ، وَقَوْلُكَ الضَّارِيَّةُ.

الموهبة والحكمة والعقل والمسئولية

صممت ملكة ملوك التاريخ العظماء، ورمقت الهدهد
منتظراً الجواب الذي يتحدد على ضوءه مصير المملكة،

ونظرت إلى قومها نظرة أمّ شفيقة إلى أطفالها: يا ترى أمنَ
الحكمة والعقل أن تلقي بمؤلاء الأبطال الأشاوس الطيبين
الأوفياء، الذي ألقوا على كاهلها تقرير مصيرهم إلى معركة
تهلك الحرث والنسل؟؟

ولا تعدم الملكة إن زجت ببلادها في حرب خاسرة أن
تبررها بالدفاع عن الوطن، وتغلفها بالحمية القومية، والنخوة
الدفاعية حتى آخر رجل وامرأة، ولو فعلت ذلك لكانت في
منطق التاريخ غير ملومة، بل مدافعة عن سيادة بلادها.
لكنها بعد نظرها، ورجاحة عقلها، وحسن تدبيرها،
وثاقب رأيها وتبصرها بالعواقب استطاعت أن تُبَجِّرَ بالسفينة
اليمينية عبر الأمواج العاتية، والتيارات المتلاطمة، والرياح
العاصفة، دون أن تصادم الصخور، أو يبتلعها البحر فأوصلتها
ومن عليها إلى بر الأمان، وشاطئ الهدوء، ولم تخسر سيادة،
ولا خُذِشَتْ لها كرامة، قالت لقومها: أنتم حماة الوطن حقاً،
وأنتم درعها الواقى، ومن راهن بمثلكم كانت له الغلبة

والفوز، وسندافع عن بلادنا حتى آخر قطرة من دمائنا، ولكن
بحكم موقعي، وحجم مسئوليتي، لا أرغب في التسرع
والطيش، ففي العجلة الندامة، وفي التأني السلامة:
قد يدرك المتأني بعض

وقد يكون مع المستعجل

وسأبدأ بالطرق السياسية، والمعالجة الدبلوماسية.

وبدأتل تشرح لهم بعض العناوين بغرض رفع مستوى
تفكيرهم، وتدريبهم على إدارة الأزمات: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا نَخَلُوا
قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَمَلُوا أَعْيَةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَّبَكَ يَقْمَلُونَ﴾ [النمل: ٣٤]، ولهذا
ليس من الحكمة أن أجازف بكم قبل أن أعلم علم سليمان، فإن
كان ملكاً سهل علينا أمره، وإن كان نبياً وملكاً في نفس الوقت
فلا طاقة لنا به، وفي كلا الاحتمالين لدينا مجال للمناورة
واستطلاع الأمر: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ
الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ٣٥].

أرسلت برقية مختصرة مع الهدهد: بأنا قادمون، قاصدة
إقفال باب المباغتة، وجهزت على الفور قافلة محملة

بالهدايا النفيسة مثل: العقيق اليماني، والزيبب الذي يأتي من
أعناب وديان مَسُورِ خَوْلَان، وحدائق الروضة، ومعه أحمال
اللوز المشهور الذي سميت به جبال في اليمن؛ لجودته
وحلاوته كجبل اللوز، وأضافت من البن والقشر والسمن
والعسل ما يسيل له اللعاب، وأغرب المؤرخون والمفسرون
في تفاصيل الهدية وذهب بهم الخيال كل مذهب.

لكن الهدف منها التدبير وحسن النظر، واستكشاف
أخبار سليمان، أهو ملك يرضيه المال، ويبحث عنه وعن
السيطرة والتغلب، أم هو صاحب مشروع مفيد؟ فإن كان
الأول، كان من السهل على بلقيس أن توقعه في فخٍّ بعيد
القعر.

واختارت للقافلة رجالاً من الأذكياء القادرين على
استيعاب كل شاردة وواردة، ولَقَطِ المعلومات بكل الحواس
الخمس، والرجوع بخريطة شاملة؛ تمكّن الملكة من اتخاذ القرار
المناسب، وزودتهم بالتوجيهات التي تريدها وأمرت قومها

بالاستعداد الكامل لأي طارئ.

وصل الوفد اليماني إلى بلاد سليمان عليه السلام وشاهد ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، وخطر على قلوبهم أن مُلكاً كهذا واقع على وجه الأرض، فقد وجدوا أنفسهم أمام قوة فوق طاقة البشر، شاهدوا عفاريت الجن المرعبة، ومردة الشياطين المفزعة، وشاهدوا قوى الطبيعة مسخرة لإرادة سليمان، فالريح العاتية طائعة ذليلة، والطير عاكفة، وذلك ما أشار إليه القرآن: ﴿فَسَحَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ * وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَاءٍ وَغَوَاصٍ * وَأَخْرَجْنَا مَقَرَّبِينَ فِي الْأَصْقَادِ * هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِمَتَرٍ حِسَابٍ * وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ [ص: ٣٦-٤٠]. ﴿وَلَسَلِيمَانَ الرِّيحَ غَدُوها شَهْرًا وَرَوَّاحها شَهْرًا وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِتْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا لَذِيقَهُ مِن عَذَابِ السُّمُورِ ۚ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِبَ وَكَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾ [سبأ: ١٣]. ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ [النمل: ١٦].

رجع الوفد لا يعرف كيف يُعبَّرُ عما رأى، إلا أنهم قالوا للملكة: إن سليمان قادر على اقتلاع الأرض اليمانية

بمن عليها. فأجابت الملكة دهشةً: وكيف ذلك؟ فقالوا: إنه يستند إلى قوة خارقة؛ فقد سخر الله لخدمته الريح والجن والشياطين والطير، ولو قاتلنا بالإنس وحدهم لقهرنا، فكيف لو سلَّط علينا مردة الشياطين، أو عفاريت الجن، أو أرسل الريح العقيم، ما تذر من شيء إلا جعلته كالريميم؟؟ في تقديرنا أن ماردا واحدا يقدر على تدمير المملكة دون عناء. ومع هذه القوة التي وهبها الله لسليمان وجدناه في غاية التواضع والبساطة والزهد.

قالت الملكة: ماذا رأيتم؟ قالوا: وجدناه يأكل الشعير، ويطعم ضيوفه لذيذ الطعام، ويجلس على الحصير والجلود ويلبس الصوف.

فما هو بملك وإنما هو شيء آخر أكبر من الملك، إنه نبي من أنبياء الله. هذا ما رأينا، وناولوها رسالة سليمان، فوجدت فيها: ﴿قَالَ أَمْلِئُونِي بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرًا مِّمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنتُمْ بِهَدْيِكُمْ تَقْرَهُونَ﴾ [النمل: ٣٦]، وضمَّن الرسالة ما قاله لكبير الوفد وقال له: ﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَهُمْ بِخُنُودٍ لَّا قَبْلَ لَهِم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ

صَاغِرُونَ ﴿النمل: ٣٦﴾.

أيقنت الملكة أن مغالبة القَدَرِ ضرب من الجنون،
والمكابرة لون من ألوان الشؤم والعناد بوابة الشر، والبلداء
وحدهم هواة الانتحار، وغربان البوار، وبوم الدمار، فمن
غَالَبَ الله يُغلب، ولعلها لجأت إلى الشمس علَّها تجد عندها
نجدةً لما دهاها، فولى ضوءها معلناً للسيدة النبيهة أن الشمس
مخلوق لا يضر ولا ينفع، ولا يقدم ولا يؤخر، ولا يغني عنها
شيئاً، وأنها كانت مخدوعة في عبادة مخلوق ونسيان الخالق،
فأدركت فداحة خطئها، وزَلَّةَ عقلها الذي فضلت به على
كثير من الناس تفضيلاً، ولكل جواد كَبُوةً، ولكل صارم
نَبُوةً.

القرار التاريخي

حزمت أمرها، وأمرت المراسم الملكية أن تُعدَّ الرحيل
لمقابلة سليمان.

طارت الأخبار بقدم الملكة الأعجوبة.

لما علم سليمان عليه السلام بقدمها أمر بجمع المعلومات عن الملكة بلقيس، فمن غير اللائق بنبي كريم، وملك عظيم، أن يجهل المعلومات الضرورية عن كبار الوفود، وقد اهتم كثيرا بتقصي أخبار الملكة بلقيس، فطلب شيخ مشائخ الجن باليمن، وكبير قبائل الشياطين في تلك الجهات، وأمرهما بجمع أخبارها على وجه السرعة، وتحري الدقة في النقل، والأمانة في توثيق المعلومة، وأعطاهما الصلاحية في الاستعانة بمن يريدان من أتباعهما، فقالا: سمعا وطاعة.

لم يمر وقت طويل حتى عادا وقصا على سليمان موجزا عن بلقيس بهذه الصورة البديعة وسليمان يستمع بعناية:

١- يقال: إِنَّ أُمَّهَا جِنِّيَّةٌ؛ ولعل هذا من الأساطير؛ وسبب انتشار هذه المقولة سيظهر لاحقا ضمن بنود التقرير.

٢- قوية الجسم دون أن تخرج عن الرشاقة والقوام الساحر.

٣- ليس في النساء أجمل منها.

- ٤ - خارقة الذكاء .
- ٥ - مشهورة برجاحة العقل .
- ٦ - ليس في قومها رجالا ونساء أشجع منها .
- ٧ - تحكم بلادها بالعدل وحسن التدبير والحكمة، والقوة من غير عنف، واللين من غير ضعف، فهي مرهوبة الجانب، ومحبوبة بشكل لا يمكن تصوره، وقد سمعنا من أخبارها عجباً يا نبي الله، فقال: ماذا؟ قالاً: لما حضرت والدها الملك الوفاة قال لقومه: لم أجد من استخلف عليكم أفضل من ابنتي بلقيس عقلاً وأدباً وكمالاً، فما وجدت أحداً يفوقها في المعرفة بتدبير الأمور، وقد عرفتم الكثير عن نجابتها وبركة رأيها، وليس في أولادي الذكور رغم نجابتهم من يصلح للملك كبلقيس، فرضخوا لرغبته على مضض، فلما مات أنفوا أن تتولاهم امرأة، وعاشت البلاد فترة فراغ جرأت عمراً ذا الأذعار، فجمع الجيوش ونهض إلى بلقيس عازماً على اقتحام البلاد، وسبى بلقيس؛ لما بلغه من جمالها الساحر. أدركت بلقيس خطورة الوضع، وليس لها به طاقة، فخرجت خلسة

مع أخيها الأصغر عمرو بن الهدهاد، في زي أعرابية بدوية وتوجهت صوب جعفر بن قرط الأسدي الهزاني من بقيايا طسم وجديس، وكانوا أطول الناس أجساما، وهو من نسل حمير بن سبأ، وكان أنجد أهل زمانه وأفرسهم، وأطولهم جسما، كأنه نخلة، وعمره يقارب الثلاثمائة سنة، فقالت له: أنا بلقيس وهذا أخي عمرو أتيتك هاربة مستجيرة مطيعة، فأجرتني وأخي، فقال: مرحبا بك يا بنيتي وبأخيك، فسأمتك مما أمتع منه نفسي وبناتي، فادخلي إلى بنات عمك آمنة. وكان ذو الأذعار يطلبها فلم يجد لها حسا، وكان جعفر بن قرط قد جعل على نفسه في كل عام عمرة إلى مكة، فيحرم بمكة شهر رجب كله، وبعد رجوعه عن العمرة يجاور قبر النبي هود شهر المحرم كله، ثم يعود إلى حصنه، وكان بين حصنه وقبر النبي هود مسافة يوم.

خرجت مع ذلك العملاق في رحلته عبر محمية حماها لنفسه، لا يجرو أحد على الاقتراب منها، يسافر فيها إلى منتجع الصحر واي بجوار قبر النبي هود عليه السلام ولم يصطحب سوى نسائه وبناته، وبلقيس فقد أنزلها منزلة بناته، ومعها أخوها عمرو وهو صغير. سار بهم على

شاطئ نهر الحفيف بين النخل يأكل من ثمرها ويطعم أهله ودوابه،
وتلقاه السباع والحيات فيقاتلهم ويقول لأهله: لا تجزعوا.
طمع بعض الصعاليك الفتاك في الاستيلاء على مخيم
هذا الرجل الذي يشبه النخلة، وقد جاءوا من جهات
مارب، يدورون في الأحياء ، لا يسلم من لقيهم ، فرمى
بهم الحظ إلى نهر الحفيف ، وهو نهر ينهال فيه الرمل
فيبتلع من سقط فيه ، فطلبوا منفذا وصلوا منه الى جهة
جعفر فأرو شيخا كالنخلة قد سقطت لحيته على عرف
فرسه، فانحرف إليهم بوجه كالترس فقال: من أنتم وما
شأنكم؟ فقالوا: عمرو بن عباد الأزدي، وشريك بن
عمرو الأزدي ، وتبان بن ثور الزبيدي، ليس في العرب
مثلنا بأسا، ونجدة، فأسلم الضعائن وانج بنفسك، وقال
تبان لعمرو : ما لنا به طاقة فلسنا من جيله، ولا من خلقه
، فقال: دع الجزع فقوه الشباب تغلب صلابة الهرم،
فسألوه عن اسمه فانتسب لهم وطلبوا منه المبارزة فثبت لهم

فطعنوه فألقى إليهم المجن فلم يعمل سلاحهم فيه شيئا ،
وحمل عليهم فولوا هارين وثبت عمور فطعنه جعفر فعقر
فرسه ، وعطف على صاحبيه فعبرا النهر وعلما أن لا
طاقة لهما بجعفر فقال: لعمر: ألق سلاحك واستأسر وإلا
قتلتك، فألقى سلاحه فكتفه، وربطه إلى نخلة ثم عبر جعفر
إلى تبان وشريك وطعناه فلم ينفعا شيئا فهزمهما
وأسرهما، وطلب منهما الفداء ما هم كله، فلما وافقوا
ساقهم معه وضرب لهم قبة بجوار قبر النبي هود حتى برأت
جراحهم وقالوا: يا أبا عامر ملك الملوك: انتم وجه الدنيا
وشمُّ العرب، فالوفاء العفو أشبه بك والجهل أشبه بنا،
فقال: لما سمحتم بالفداء بمالككم عرفت أنكم ترون
أعراضكم أنفس من أموالكم، وقد عفوت عنكم، ولو
بخلتم لقتلتكم، فحملهم على أفراس وأذن لهم
بالانصراف. فعاد عمرو بن عباد بهدايا ، وقعد عنده
يشرب الخمر، وطلب من جعفر أن يشرب فقال: إذا

فقدت عقلي فمن يحمي الطعائن؟ فألح عليه وقال: أنا
ضعيفك، ولا يطيب لي السمر إلا بأن تشرب معي، ثم إنه
خمر خفيف لا يسكر، فسقاه خمرا صرِّفاً، فلما ذهب
عقله، بادره بالسيف ففصل رأسه عن جسده، وقام
بسحبه إلى الخيام، فخضعت النساء خيفة، وطلب تجهيز
جدجاد بنت جعفر حتى يخلوا بها، وكان قد لمحها في غاية
الجمال، فقالت بلقيس: ليس لهذا الفاسق غيري، وكانت
تخبئ خنجرًا بين شعر رأسها مقبضه من الجواهر والماس،
فيظهر من أمامها وكأنه حلية وطرف سنانه وراء أذنيها،
وهي أول من فعل ذلك، فأقبلت إليه، وكانت أجمل من
جدجاد ومن نساء زمانها، فأنكرها، إلا أنها سحرتة
بجمالها الأخاذ، فبادر نحوها فقالت: ما هكذا تعاشر بنات
الملوك، وخادعته حتى ألقته أرضاً، وضغطت يديه بيدها
اليسرى، لم يستطع حراكا، وبادرته بالخنجر فغرسته فوق
قلبه، ثم فصلت رأسه عن جسده، وسحبته وألقته بجوار

جسد الملك جعفر وقالت: مخاطبة الملك القليل: هذا قليل
لك مني يا أبا عامر.

ثم لبست ثياب أبي عامر وسلاحه وقالت للنساء:
اسرجن فرس أبي عامر فركبته، وأمرت النساء بسرعة
العودة قبل أن ينتشر خبر مقتل جعفر، فرحلتن وكانت
تمشي خلفهن كما كان أبو عامر يفعل، فلما أوصلتهن
إلى الحصن ، شاع في العرب مقتله، وعرف عمرو ذو
الأذعار مكان بلقيس فأرسل قوة ، فأخذها وقبل أخذها
أمرت أخاها بالهروب الى البحرين، وقالت له: لي حيلة
أخذه ، وأنت لا حيلة لك إلا الموت، فاهرب ، فهرب
في زي أعرابي وسارت بلقيس إلى عمرو، وكان فاسقا
ماجنا جبارا، فأدخلت عليه فلما شاهدها ذهب صوابه؛
لسحر جمالها، فثار إليها كالجمل، فأوهمته أنها مشغوفة به،
وطلبت منه الاسترخاء ريثما تنهيا، فدخلت الحمام
وعادت كأنها ملهوفة عليه، فبركت عليه، وغرزت

الخنجر في ثغرته، ثم فصلت رأسه، ثم دعت الملوك
الخاضعين لسيطرته باسم الملك المذبوح، لما اجتمعوا قالت
لهم: لقد اختارني نائبة له، وملكة بعده، فأخذت منهم
العهود على طاعتها، والتزام أمرها، فلما أعطوها
عهودهم، أخرجت الرأس وألقته بين أرجلهم، وقالت:
خذوا رأس هذا الماجن الذي ينتهك المحرمات، ويفترس
الأعراض، دون أن تحركوا ساكنا، وها أنا الآن ملكتكم
مكانه، فهل لدى أحدكم أي اعتراض؟؟

فقاموا يقبلون الأرض تحت قدميها، ويقولون:
نشكر لك أن محوت عارنا، وتخليصنا من طاغية ماجن
فسمعا لك وطاعة، وقد فعلت ما لم يفعله الرجال، فأنت
أحقُّ بالملك منهم، وأجدر بهذا المكان. وجددوا لها البيعة،
وأذعنوا بالطاعة، فضيبت البلاد، وأمنت العباد، ونشرت
العدل، واختارت لولاية الأقاليم رجالاً من الحكماء
العقلاء، القادرين على إدارة شؤون الناس بالحق والعدل

والرحمة والحزم.

أعجب سليمان بالملكة أيما إعجاب، وقرر أن
يكشف المزيد من ذكائها وشجاعتها وسرعة بديتها،
وأراد أن يعرف هل ما زالت تحمل سحر الأنوثة، وجمال
الأناقة، أو طَعَتْ عليها شخصية المرأة الحديدية، ونفس
الماردة العفريتة؟ فأجرى بعض الاختبارات التي لا ينجح
في حلها إلا النوادر من بني آدم:

١- أمر الجن على وجه السرعة أن يبنوا حوضا يشبه
البحيرة، مزودا بكل أنواع الحياة البحرية، وأمرهم أن
يغطوه بسقف من الزجاج النقي الذي يشبه الماء، وأن
يجعلوا الحوض في البهو الموصل إلى مجلس سليمان، فلا
يتمكن الزائر من الدخول إلا بالمرور فوقه، وأراد أن يختبر
شجاعة الملكة، وقوة إقدامها في الأمور الخطرة.

٢ - الاختبار الأصعب: إحضار عرشها، فقد جمع أقطاب
مملكته، ووجوه دولته من كبار المردة والعفاريت من

الشياطين والجن، وعباقرة العلماء والحكماء من الإنس،
ووجه إليهم سؤاله الشهير: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ
أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ * قال عفریت من الجن ﴿[النمل: ٣٨] - وهو شيخ
مشائخ جن اليمن وشبه الجزيرة والخليج والقرن الأفريقي -
﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ﴾ [النمل: ٣٩] ، فقال له: وكيف
تحافظ على ما يحويه من التحف الملكية والوثائق والأسرار
والكنوز والآثار التي لا يجوز التفريط بها؟ فقال: ﴿وَأَتَى عَلَيْهِ
لَقْوَى أَمِيثٍ﴾ [النمل: ٣٨]. فالتفت إلى عباقرة علماء الإنس وقال:
ما رأيكم فيما سمعتم من العفریت: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ
الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل: ٣٨]. - وكان عارفا
بتحضير الأرواح المكلفة بحفظ البيوت - فأوعز لحراس قصر
بلقيس من الأرواح الخارقة القوة التي تفوق قوة الجن ألوف
المرات، فأحاطوا بالقصر ومنعوا تسرب الهواء المضغوط؛ لئلا
يتناثر، وطاروا به بسرعة الضوء إلى مجلس سليمان، ﴿فَلَمَّا رَأَاهُ
مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ
فَأَكْمَلْنَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠].

شاهد العرش، فإذا هو مدهش بكل المقاييس في ضخامة أعمدته وطولها الباسق، والنوافذ منقورة في بطون صخرة واحدة، أما الأبواب فهي مصممة من أربعة أعمدة صخرية من المرمر، واحدة على اليمين، وأخرى على اليسار، واثنان من فوق ومن تحت، وكان به ٣٦٥ كُوَّةٌ يدخل ضوء الشمس كل يوم من كوة، وبنيت الجدران من الصخور المسمى باليمن الحَبَشُ، متزاوجة متداخلة في بنائها، لا يلحظ الرائي الفواصل بين الحجرين إلا بصعوبة، والجدار الداخلي مشتبك أيضا مع الجدار الخارجي. ووضع في الفراغات بين الجدارين سائل القطر المسمى في اليمن بالقَضَاضِ؛ ولكي يستوعب نبي الله سليمان سر هذا السائل الذي يبقى ألوف السنين استحضر روح كاتب القصة^(٣) ليشرح له صناعة القطر ورحلة تحضيره الشاقة:-

(٣) وسأشير إلى روح كاتب القصة بالحرفين (ر، ك) ونسي الله سليمان

ن. س: هات ما عندك أيها الروح العزيز..
ر. ك: سمعا وطاعة سيدي: كان جدي رحمه الله
مشرفاً من باب الاحتساب والتطوع على المساجد
والأموال الموقوفة لها، في آخر أيام الأتراك، وبداية دولة
الإمام يحيى بن محمد حميد الدين، وكانت ضائعة مهملة،
لكنه رحمه الله شخص قوي العزيمة، بعيد المهمة، حازم
شديد التدبُّن والزهد، لم يَتَسَنَّ له الالتحاق ببعض هجر
العلم مثل: شِهَارَةَ أو مَعْمَرَةَ، فتعلم القرآن وحفظه عن
ظهر قلب كأنه الفاتحة، وعكف على المطالعة، وأظنه
استظهر تفسير الكشاف - إذ كانت لديه نسخة حجري
من أول طباعة الكشاف - والبيضاوي بهامش مصحف
قديم ما زال عندي، وكانت أفكار البيضاوي في العقيدة
لا تناسبه مثل: القول برؤية الله، والشفاعة لأهل الكبائر،
والخروج من النار، والترضي عن البغاة، وما شابه ذلك،

ب-(ن، س).

فيبادر معلقاً مستعيناً بإمام أهل التفسير الزمخشري، وأظنه حفظ بن أبي الحديد وشرح الأزهار، وكان يستعير ما وجد من كتب وهي نادرة فينسخها، وكان شاعراً ناقداً، فاستطاع تجميع أموال الوقف، وتحصيل غلاتها، وحث الزراع على العناية بها، وبادر بتخزين الحبوب في مخازن تحت الأرض مصنوعة من حجار وقضاض، وكان يهدف لتجميع أكبر كمية تمكنه من عمارة المساجد المهدامة، وعمل خزانات كافية لاستيعاب مياه الأمطار.

ن.س: هل حجم هذه الخزانات تشبه سد مأرب؟

ر.ك: بالطبع لا؛ لأن المنطقة تقع ضمن جبال شاهقة وعرة، والأمطار شحيحة؛ فالمناسب حفر خزانات تسمى البُركَ والمَواجِلَ والسَّقَايَ - جمع سقاية-، أكبرها -وهي الوحيدة بقلعة مَحَطُورَ- تبلغ ٨٠ ذراعاً في ٨٠ بعمق ٢٠ تقريباً، وبعضها ٢٠×٢٠ إلى ٣×٣ أحياناً في عمق مثلها أو أكثر أو أقل، وكلها تغطي جدرانها

بالقضاض.

ن س: معذرة من المقاطعة، سمعت كلمة مَحْطُورَ،

هل هذا اسم جني؟

ر ح: لا يا سيدي، وإنما هو اسم قلعة شامخة كان

يحتمي بها الأجداد أيام احتلال الأتراك لليمن، وقد سمعت

أنها كانت مسكناً للجن، فتنازلوا عنها وأهدوها

لأجدادي ليثبتوا أنهم من شيعة آل رسول الله.

ن س: ما معنى شيعة؟

ر ح: معنى شيعة يا سيدي: المحبة والموالاتة

والمناصرة، مشتقة من المشايعة، فغلب هذا المصطلح على

من يتولى علي بن أبي طالب.

ن س: من هو علي هذا؟

ر ح: هو يا سيدي ابن عم النبي محمد ﷺ خاتم

المرسلين، وزميلك في النبوة، وأنت تعرف ذلك، فقدر لعلي

أن يلتحق بمحمد منذ طفولته، ورباه محمد وعلمه كل ما

لديه، ولاحظ عليه النباهة الفائقة، والذكاء الحاد، والقوة
البدنية الخارقة، ولمس منه انجذابا واندماجا مع روحه وعقله
وقلبه، وحبًا شديدًا ألماه عن كل شيء سواه؛ إذ استطاع
النبي محمد ﷺ أن يُفَجِّرَ فيه جميع قوى الإبداع، ورسم له
خطًا يوصله إلى بحبوحة الجنة، ونصب له سلما يصعد من
خلاله إلى القمة ووصل إلى القمة وأصبح أعظم رجل بعد
النبي ﷺ ولم يفته سوى النبوة؛ إذ هي اختصاص إلهي غير
مكتسب.

ن س: قد خرجنا عن الموضوع، ولكن لا بد من
سؤال: لماذا سُمِّيَ أتباعه شيعة؟ وهل هناك من لم يتابعه
وهو بهذه الصفات؟

ر ح: يا سيدي قد دُفِعَ عن مكانه المناسب، وحُرِّمَت
الامة من طاقاته الهائلة ربع قرن، ولما اختاره الناس، لقيادتهم
وطبق فيهم شرع الله كما أنزل، وساوى بين الفقير والغني،
والقوي والضعيف، لم يَرُقْ للطبقات الثرية؛ إذ رأوا فيه كاجبا
لطموحهم في تكديس الثروة والتفاوت الطبقي المححف،

فالتحم معهم في حروب مريرة، كان النصر له، إلا أن نصره
أهك قواه، وعرقل مشروعه الإسلامي الراقى، وآل الأمر بعد
استشهاده إلى عدوه رقم واحد وهو معاوية، فبرز حينئذ
مسمى (التَّوَأصِبِ) أي: المبعضين لعلي، وتأسست مدرستهم
رسمياً، وجعلوا شغلهم الشاغل تشويه صورة علي، ومحاوله
محو تاريخه المشرق، ورسموا صورة قائمة لشيئته، وأنزلوا بهم
من التنكيل والقمع ما تشيب له النواصي، طوال فترة معاوية،
وابنه، وبني مروان. ثم جاء العباسيون فكانوا أخبث وأطغى،
بداية بالسفاح، ثم أخيه أبي الدوانيق فرعون أمة محمد، الذب
قتل نجوم الآل بقسوة مفرطة، فَنَجَى من بقي من ذرية
الزهراء بنفوسهم إلى أطراف الأرض، ووجد أجدادي ملجأً
لدى جنِّ مَحَطُورٍ، أمنوا على أنفسهم في تلك القلعة النائية،
وعملوا على إصلاح خزانات وحاويات للماء في كل شبر
يصلح لذلك؛ ليقوا على قيد الحياة، وظل جدي مسكوناً
بهذه الفلسفة رغم انفراج الأحوال، فعزم على تفجير طاقات
أهل قريته والقرى المجاورة، المعروفين بتفوقهم على النحل

والنمل في الصبر على العمل، والنشاط المتميز رجالاً ونساءً
وصغاراً وكباراً، فهم يعملون من قبل شروق الشمس إلى
غروبها، أما النساء فتعمل ثلاث ساعات بعد الغروب في
العمل المتزلي، إضافة إلى العمل النهاري مثل الرجال.
وسأدخل سيدي في شرح صناعة القَطْر بداية بصناعة النُّورَة:

صناعة النُّورَة

- ١- تحفر حفرة في طرف جَرَبَة مما يلي جدارها، أي: في ركنها
الخارجي بعمق ثلاثة أمتار تقريباً في عرض ثلاثة أمتار وطول
ثلاثة إلا أنها مستديرة.
- ٢- فتح نافذة من أسفل الحفرة بغرض إيصال النار منها.
- ٣- تمتد هذه النافذة عبر نفق بيني بالحجارة، ويترك فيه
فتحات من اليمين والشمال ومن فوق.
- ٤- سعة النفق نصف متر ارتفاعاً ومثله عرضاً، أما طوله فمن
طرف الحفرة من الخارج إلى جدار الحفر الداخلي.
- ٥- يحشى النفق بالحطب والقش القابل للاشتعال.

- ٦- تتصل النار بقطع مرصوصة من الحطب الصلب اليابس الذي رُصَّتْ به الحفرة من يمين وشمال وفوق النفق بقدر ذراع.
- ٧- يطرح مباشرة فوق الفلِقِ المرصوصة من الحطب اليابس جذوع شجر ضخمة خضراء من السدر يزن الجذع الواحد أكثر من ألف رطل، يعني أنها بحجم الثور لا يمكن حملها وإنما تقلب قلبا، وترص الجذوع رصا محكما.
- ٨- يرص فوق الجذوع حجارة البَلَقِ الصافي القابل للاشتعال والنضج بارتفاع متر تقريبا، مكسرة قدر القطعة رطل.
- ٩- طبقة أخرى من الجذوع الضخمة، ثم طبقة من الحجارة حتى تكون الطبقة الأخيرة حجارة حتى ترتفع مقببة.
- ١٠- يعمر حزام دائري في رأس الحفرة بارتفاع ذراع؛ ليمنع اختلاط التراب بالنُّورة عندما تنضج؛ ويساعد على استيعاب كمية من الحجارة المرصوصة بغرض إنضاجها.
- ١١- بعد غروب الشمس يتم إيقاد الشعلة، ثم مواصلة

شحن النفق بالخطب اليابس السريع الاشتعال إلى أن يتم
إنضاج واشتعال الجذوع الخضراء المباشرة لطبقة الخطب
اليابس، وأمارة اشتعالها سماع صوت الحجارة وهي
كالمفرقات الخفيفة.

١٢- عندما تظهر النار من الأعلى يسببش العمال
ويضيفون كميات من الحجارة في الأماكن التي تندلع
منها ألسنة اللهب بغرض كبح جماحها لتتعاقل في إحراق
الحجارة في جميع النواحي.

١٣- متى اطمأنوا إلى أن النار توزعت في جميع الجهات، وأن
لا حاجة إلى إضافة شَلْفٍ^(٤) يخلدون إلى النوم.
١٤- يذبح في اليوم الثاني كبش للغداء بمناسبة نجاح
العملية.

١٥- تسمى الحفرة المذكورة مَنْوَرٌ.

١٦- تظل النورة داخل الحفرة حتى تبرد.

(٤) أي قطع صغيرة من الحجارة.

١٧- مدة التبريد ثم تنقل بالدواب وتُخزّن في مكان أرضي.

صناعة القَضاضِ:

- ١- توضع كمية من الثُورَة في وعاء كبير من الفخار، ويصب عليها ما يغمرها من الماء، ثم تخلط بالماء، وفي اليوم الثاني يضاف الماء ويستمر التحريك بين الفينة والأخرى؛ لئلا تتجمد، وتظل بينه حتى تختمر قدر أسبوع.
- ٢- يتم دَقُّ حجارة البَلَقِ وهي: حجارة تقبل التكسير إلى قطع مثل رأس الأعملة.
- ٣- يتولى آخرون تكسيورها إلى قطع أصغر مثل حب الذرة.
- ٤- حينئذ يطرح خمير النورة فوق هذه الحجارة الصغيرة وتخلط خلطاً جيداً وتقلب حتى تتخمر أكثر وتبقى في شكل عجين لازب.
- ٥- يبدأ نقل العجين إلى مكان أوسع؛ ليسحق فوق مدقات من الحجارة حتى تتحول حبات الحجارة إلى طحين وينقل ما تجمع من المدقات إلى مكان لِيُخَمَّرَ ويقلب حتى يصير

لازباً.

٦- يصب في أرضية البركة المرصوفة بالصخور بارتفاع شبر تقريباً، وتماًلاً الفواصل بين الأحجار في الجدران أو تغطي كلها.

٧- تأتي عملية الوشاحة ومعناها: ضرب القضاض بعد وضعه مباشرة بأحجار حادة، ويستمر الدق المتقارب والمتداخل مع قطرات الماء حتى يتصلب وينضغط بفعل الوشاحة فكأنه حديد.

٨- يتم ذلك القضاض بأحجار ملساء ناعمة يُؤتَى بها من الطرق التي طال المشي عليها حتى صارت كأنها زجاج، ويستمر الدلك مع الرش وإضافة ترويبية من النورة المخمرة تشبه الزبدة؛ لتنعيم وجه القضاض؛ وملئ أي فراغ محتمل حتى وإن كان مثل رأس الإبرة، وهو غير موجود طبعاً إلا أن عمل القضاض يدخل في باب التعنت والخرافة في الإتيان.

بعد سماع سليمان تقرير كاتب القصة عن صناعة القضاض وأسراره، ﴿قَالَ تَكْرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل: ٤١]. وطلب من مهندسي الجن المهرة إدخال بعض التعديلات على عرش بلقيس دون أي مساس ببنيته ومفاصله المهمة، كالحفاظة على القضاض.

اقترب موكب الملكة، واستقبلتها المراسيم الملكية السلিমانية أكرم استقبال، ونزلت بدار الضيافة الذي جهز مخصوصاً لإقامتها، وأمر سليمان عليه السلام مدير المراسيم أن ينتقي مجموعة من خيرة بنات الجن والإنس ليكون بمثابة حرس شرف وتحت خدمتها، وأمر الرياح أن تحملها في نزهة لتلقي نظرة على سعة مملكة الله التي بوأها سليمان بعد أن تأخذ حظها من الراحة.

وكان غرض سليمان من المبالغة في تكريمها أنه لا هدف له في إذلالها، وإنما يهدف إلى تكريمها، فمن قواعد الأنبياء: (إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه) ومن واجبه كني هداية قبل أن يكون ملكاً أن لا يترك تلك الملكة الاستثنائية في ظلمة الجهل بالله، وعبادة الشمس وهي مخلوق حقير

من كون الله الشاسع المدهش.
وأوعز لمدير دار الضيافة أن ينقل للملكة رغبة سليمان
في استقبالها فور وصولها؛ لولا حرصه على راحتها، وبذل ما
يمكن من الضيافة التي تليق بها؛ ولولا رغبة سليمان في
معاملتها كملكة عظيمة بمراسم الملوك لما نزلت إلا في دار
نساء سليمان؛ لما يكتنه لها من تقدير؛ وللملكة أن تحدد الوقت
الذي يناسبها للاستقبال الكبير.
أبلغت سليمان امتنانها وعميق شكرها، أصالة عن
نفسها ونيابة عن شعبها؛ للمعاملة الكريمة التي تحمل أخبارا
سارة ومستقبلا زاهرا، وحددت الوقت المناسب.
وقد كانت تتلقى المعلومات من البنات المكلفات
بخدمتها، والإجابة عن أي تساؤل، وأخبرتها أن سليمان عهد
إليهن أن لا يحجن عنها شيئا، فلا يحجب عن الملكة بلقيس
أي سر، فهي من أعز ضيوف سليمان؛ ولذلك اختارت اليوم
الذي يجتمع فيه سليمان بكبار أهل مملكته من إنس وجن

ووحش و طير .

طارت بها الريح في جولة على بلاد الشام وتخوم القارة
الأوروبية، وأدهشها منظر البحر الأبيض المتوسط، ولم تكن
قد شاهدت بحراً من قبل، ورأت من عجائب خلق الله ما
حير عقلها، فأدركت أن سليمان مربوط بقوى فوق مستوى
البشر .

رجعت من رحلتها العجيبة في شوق عارم لمقابلة الملك
الكبير، وقبل مجيئها أمر سليمان حفظة عرشها وحملته بوضعه
على جانب البهو الذي تدخل منه واصطف الجنود من الجن
والإنس على يمين الطريق وشماله، وامتدت الصفوف إلى بوابة
مجلس سليمان والعرش قدام البهو بين الصفوف .

ولما جاءت الملكة إلى محاذة العرش، والتفت إليه متعجبة:
﴿قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ﴾ قالت على الفور: **﴿كأنه هو﴾** ، فَأُبْلِغَ
سليمانُ بجوابها فوراً بواسطة الريح، فأدرك أنها فلتة من فلتات
الزمان، ونادرة من نوادر الدهر. وقال لكبار حاشيته من العلماء:

أي داهية هذه المرأة، حين قالت: ﴿كَأَنَّهُ هُوَ﴾ ، فهي لم تقل: إنه هو؛ لاستحالة إحضاره، ولكن عقلها العجيب، وفطنتها الوقادة، وذكائها الخارق، أسعفها بأن سليمان يمتلك قوى خارقة فرما أحضر له العرش، فمن غير الحكمة أن تنكره وأن تقول: ليس هكذا، فتكون قد تخلت عن رمز مملكتها، فأجابت جوابا مدهشا، لا أنكرته ولا أثبتته.

وذكرهم بنعمة الله عليه وعليهم فقال لهم: لقد أكرمنا الله بالعلم والإسلام قبل أن يَهَبَ لهذه المرأة هذا الذكاء والعلم بالأمر - ﴿وَأوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ * وَصَدَّقْنَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ [النمل: ٤٣].

لما اقتربت الملكة من البوابة الكبرى المؤدية إلى الصرح المؤدي إلى مجلس سليمان تعرضت للامتحان الثاني: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾ [النمل: ٤٤] - ولكنها لفرط شجاعتها ورباطة جأشها لم تتردد ولم يظهر عليها أي ارتباك بل أسرعت ﴿وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا﴾ فابتسم لها مدير المراسم: و﴿قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ﴾ [النمل: ٤٤].

أراد نبي الله سليمان أن يستخرج المزيد من كنوز ما
وُهِبَتْ من القدرة العقلية، والنظر البعيد، والنجابة المحيرة، وقد
نجحت في الامتحانين بدرجة العبقرية من الطراز الرفيع، فقال
لها مدير المراسيم عند ذلك: أيتها الملكة المبجلة - بإيعاز من
نبي الله سليمان عليه السلام - إن العرش هو عرشك أُحْضِرْ
لسليمان بأمر الله وقدرته، تكريماً لنبيه، وقد تلقينا الأوامر
بإعادته معك إلى مكانه، مع ما يليق بك من الهدايا.

إنه أيتها الملكة الجليلة نبي مرسل من الله تعالى رحمة
لعباده، ومحبة لهم، وأطلب السماح من الملكة المبجلة إن
عَبَّرْتُ عن حزني أن يفوت عقلك الكبير وذكائك المحير أن
عبادة الشمس غلطة قاصمة، ولا يليق بموهبتك وقد تَشَرَّفْتُ
بوظء بساط النبوة المقدس أن تتجاهلي خالق الشمس والقمر
وخالق الكون كله، وهو الذي خلقك ووهبك ما وهب من
التفوق والتميز.

فاغرورقت عيناها بالدموع، وأدركت أن مدير المراسم -

وكان من كبار العلماء الذين تعلموا على يد سليمان- إنما كان يتكلم بلسان سليمان، وأن هذا إنما هو خطاب نبي الله، أثر أن يحدثها به تكريماً لها، وحفاوة بمقدمها، ولطفاً بمشاعرها المرهفة، فتغشأها نور الهداية، وفاض على روحها الطاهرة نسيم الجمال والجلال الإلهي، وتدفق على نفسها برد اليقين، واستحضرت عظمة الله وكرمه ولطفه، فأجهشت بالبكاء غير مدركة لمن حوالها، وجعل الولا تد من الإنسيات والجنيات يُقدّمنها بخطوات وتبديده، وهي مستغرقة في التواصل مع الخالق العظيم، متحسرة على ما فرطت في جنب الله، نادمة على ما ضاع من عمرها في عبادة الشمس، رفعت كفيها في تبتل وخشوع بكى له الجمع الحاشد، وتعالى النسيج، وكادت الأكباد تنفطر حين أعلنت الاعتذار لرب العالمين: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤]، حبس الجميع أنفاسه وهي تتقدم من نبي الله وهو يُطأ رأسه شكراً لله أن هداها على يديه، وسيهتدي بها شعبها العظيم.

تقدمت إلى سليمان وقد ألقى الله عليها بعد الإيمان به

من البهاء والجمال والقبول ما يسحر العقول ويخلب القلوب،
وأدت التحيات المباركات والصلوات العاطرات، السلام
عليك أيها النبي الكريم والملك العظيم ورحمة الله وبركاته،
الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله،
جزاك الله عني وعن قومي خير الجزاء، إني أقدم لك أيها النبي
بطاقة الملك متنازلة عنه لمقامك الشريف؛ لتضع من تشاء
لإدارة أحوال اليمن.

رحب بها سليمان ترحيباً حاراً، ذاكراً للملأ فضلها
وجودة رأيها، وبعد نظرها وأنها مباركة، وأعلن قبل أن تجلس
على الكرسي الذي خُصَّصَ لها على يمين سليمان أن نبي الله
الملك سليمان قرر أن أصلح الناس لإدارة ملك اليمن والحبيشة
والخليج وشبه الجزيرة هي أمة الله المؤمنة الزكية الطاهرة الملكة
بلقيس.

وقرر أن لها الصلاحية المطلقة، وأن لا رقيب عليها إلا
الله، وأن مملكتها مستقلة تمام الاستقلال تحت راية الملكة

المبجلة بلقيس، وألزم جن اليمن بطاعة أوامرها حين تحتاج إليهم.

وقرر منح الملكة وسام المملكة السليمانية من الدرجة الأولى، وكان الوسام عبارة عن عقد من حبات من الألماس والجوهر النادر أحضرته الجن وصقلته لهذه المناسبة.

ولما علّق على صدر الملكة كاد أن يخطف الأبصار بضوئه وبريقه؛ لولا أن حجبت بعض حباته بخمارها تواضعا وشكرا لله، وقالت: يا نبي أستعيض عن الشكر لك إلى الصلاة والتسليم عليك وعلى أبيك وعلى جميع أنبياء الله، وأنا محتاجة لأتمكن من شكر الله أن تأذن لي بالبقاء في ضيافتك، كي أتعلم على يديك أصول العقيدة، وقواعد السلوك الإسلامي، وفقه المعاملات.

هزّ سليمان رأسه بالموافقة وأشار إليها بالجلوس، وأدى رأسه منها هامساً: أيتها المؤمنة المخلصة إن من وصايا الإسلام أن تنزل الناس منازلهم، وأنه إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه،

وإني لا أجد لمثلك كفوًّا يليق بك إلا نبي، ولا يوجد غيري،
وإني أرغب أن تكوني مني مكان سواد العين من بياضها،
وأطلب يدك لتكوني زوجة لي وسيدة النساء الأولى، وهذا لا
يتعارض مع إدارة الملك باليمن، وسأرتب لك زيارة أسبوعية
على بساط الريح، فإذا قبلت بذلك فسترداد نعم الله علي،
وإلا لا حرج عليك إن آثرت العزوبية.

تهلل وجه الملكة، وتصارع بريق بياض وجهها الملائكي
مع حمرة الخجل والسرور بهذا التكريم النبيل، فأعلنت الموافقة
وأنها واحدة من المؤمنات بالله ونيبه سليمان.

شكرها نبي الله ودعا لها بالبركة ودوام السعادة، وطلب
إليها أن يؤجل إعلان القران وحفل الزفاف لجلسة خاصة، وأذن
لكبار القادة من جميع المخلوقات بالمرور أمام المنصة، كل قائد مع
قبيلته من جن وإنس ووحش وطير، وإلقاء التحية والاحترام
للملكة، وتمنتها بالإسلام واللقاء بحبيب الله ونيبه سليمان عليه السلام.
ولكن المواكب لم تتحرك، فأخبرت الريح سليمان عن

رغبتهم في إلقاء بعض الهدايا الرمزية للملكة تعبيراً عن
فرحتهم بإسلامها، ونيلها حب نبي الله سليمان وعنايته،
فابتسم شاكرًا لهم، فأبلغتهم الريح بموافقة سليمان وشكره
لمشاعرهم النبيلة.

وأمر حفظة الكنوز بفتحها؛ ليلتقط المهنتون ما يحلوا لهم
لتقديمه للملكة القلوب، ولا سيما وقد شعر سليمان
بإحساسهم أن الملكة ستكون سيدة الكون الأولى وسترتبط
بعقد قران مع ملكهم ونبئهم؛ لذا تضاعفت غبطتهم، فألقوا
بين قدمي الملكة من الجواهر واليواقيت واللؤلؤ والمرجان
والدر والألماس والأحجار الكريمة ما يفوق الوصف
ويستعصي على الحصر.

أمر سليمان بنقل الهدايا إلى العرش، بعد أن يفرش
بالسجاد الذي صنعه قبائل الجن في تركيا، ثم بالسجاد الذي
اشتهر به جن فارس وأنواع الحرير والديباج، وأوعز إلى حملة
العرش من الأرواح الخفية أن يردوا العرش إلى مكانه في

مأرب، أو حيث ترغب الملكة، فأشارت بوضعه حيث كان
تماما لأنه مكان حُدِّد بعناية فائقة.

استأذنت الملكة زوجها النبي سليمان ﷺ أن تقدم مهرها
من المعادن الثمينة هدية لشعبها بشرف النبي الذي تشرفت اليمن
كلها بمصاهرته وهدايته لليمنيين لعبادة رب العالمين.

الفوائد المستفادة من القصة

أهم فوائد القصة وأحكامها الشرعية مستنبطة من الآيات من
٢٠ - ٤٤ سورة النمل

١- رغم ضخامة ملك نبي الله سليمان فإنه لم يغفل عن تفقد
الصغيرة والكبيرة، حتى لم يفت عليه مكان طائر الهدهد وهو
صغير، وهذا درس وعبرة لنا لنعرف أن بإمكان الإنسان أن
يستخدم ما بداخله من طاقات جبارة تدل على عظمة الخالق
في هندسة الدماغ البشري الذي يتمكن من السيطرة على
مخلوقات لا تحصى ولو كانت في سعة ملك سليمان.

٢- قوة الملاحظة حيث أدرك الفراغ الصغير، وما ذاك إلا من دقة الترتيب وانعدام الفوضى، فكل الأجناس العاملة في بلاط الملك النبي منضبطة حسبما رسم لها؛ ولذلك استدعى مشائخ الطير كالنسر والصقر والعقاب والبازي والشاهين ووجَّهها على التقصير فطار كل منها إلى جهة فعثر على الهدهد في اليمين وأُحضِرَ للتو.

٣- التطبيق الصارم لمبدأ الثواب والعقاب مع التحري الدقيق للإنصاف والعدل وذلك ما عبرت عنه الآية أروع تعبير: ﴿لَأَعَذِّبَنَّكَ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِيَنَّكَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ هذا هو ما عبر عنه فقهاء الإسلام. الأصل براءة الذمة حتى يثبت العكس، وفقهاء القانون: المتهم بريء حتى تثبت إدانته. فالهدهد الصغير الضعيف لا يخاف ظلماً ولا بطشاً من الملك الكبير؛ لأن الحق هو المرجع، والعدل هو الأمان وسليمان سلام الله عليه أضعف مخلوق أمام الحق والواجب الذي حمله والعدل الذي كُلفَ بحراسته وتطبيقه.

٤- لم يكن العذاب الشديد الذي توعد به سليمان داخلاً في

قاموس الوحشية السادية الذي تُمارس مفرداته أنظمة الاستبداد
والقمع من قلع الأظفار، وقطع الأطراف، والانتهاك للأعراض
-و غير ذلك مما تقشعر له الأبدان، وتشيب له النواصي- وإنما
هو حبسه في قفص مع السماح لأقاربه بزيارته والحديث معه،
وتمكينه من أن يطلب ما يحتاج إليه مما هو موفر له من
مخصصات الطير. وقيل: إن العذاب هو عزله عن أبناء جنسه،
ونقله للخدمة مع النسور أو الغربان فمعاشرة الأضداد أشد من
أضيق السجون، حتى لو تقرر بحكم عادل إعدامه بالذبح لخيانة
جسيمة فهو ذبح سريع.

٥- لم يمكث الهدهد كثيراً فهو يدرك حجم المسؤولية ومتى
فرطَ في تضييع الوقت ضاق عليه العذر، فالواجب الاحتياط،
والتبصر في العواقب؛ أدرك الهدهد ذلك ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾
ولم يتأخر كثيراً.

٦- حضر أمام سليمان منكساً رأسه، مطئطاً ذيله؛ احتراماً
وتقديراً وحباً، لا خوفاً من البطش فهو مطمئن، فسأله سليمان
شخصياً ولم يتركه للمحققين ليكتفي بقراءة التقرير الذي قد

يشوبه شيء من مجانبة الحقيقة، فرمما خامر المحققون الحسد
للهدهد لإنجازه الكبير، وتأمروا بتحويله لكبير الطيور وشيخها،
وليس لهذا الطائر الحقير ولكن منعاً للشك، وإظهاراً للحق
بسرعة فائقة، قال له: أين كنت؟ ﴿فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ
وَجِئْتُكَ مِنْ سَبِيلٍ بَنِيَّ يَقِينٍ﴾؛ وأخبره القصة كما سبق.

٧- شكره سليمان على إخلاصه، ولكنه أراد أن يتبين من
صدقه وهذا أمر مشروع فالتحري ضمان العدل - ﴿قَالَ سَنَنْظُرُ
أَصْدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾

٨- فوق إرادة التحقق من صدقه لمس فيه النباهة والفصاحة
والشجاعة حين أجابه بتلك العبارات التي تحمل دروساً لا غنى
عنها للكبار قبل الصغار وهي: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾،
فالهدهد الصغير أدرك ما لم يدركه النبي الكريم والملك العظيم:
فإن السيوف تحز الرقـ

ب وتعجز عما تنال الإبر

لذلك كلفه بمهمة حمل الرسالة للملكة سبأ
٩- إن رسول المرء ترجمان عقله فإذا كان حكيماً حصيفاً فلا
يحتاج لوصية:

إذا كنت في حاجة مرسلًا

فأرسل حكيمًا ولا توصه

١٠- ولكن الأمور الهامة، والشئون الكبيرة لا بد فيها من الإرشاد والتعليم؛ ولهذا أوصى الهدهد باستخدام اللياقة والأدب والدبلوماسية الراقية؛ فعند مناولة الملكة رسالة سليمان ينبغي أن لا يظل قائمًا على رأسها كالمطاول المتحدي الذي يأخذ بالحناق: ﴿أَذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَالْقِيَّةِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ إن الخطاب السليمانى في غاية الاحترام، فهو بصيغة الجمع: ﴿إِلَيْهِمْ ، يَرْجِعُونَ﴾ ولم يقل: (تَرْجِعُ)؛ ولعله أدرك أن نظام بلقيس قائم على المؤسسات المدنية والشورى، فهو غير موجه لفرد وإنما لشعب. كل ذلك صحيح وربما لاحظ المعنيين.

١١- أدركت بلقيس نموذجاً غير معهود في سلوك رسول سليمان عليه السلام من الأدب الرفيع، والاحترام الكبير، وأنه من عالم الطير، فهو يرمز إلى قوة من أرسله فلا يمكن مقاومته.

١٢- كان خطابها يحمل التصرف الذكي من أول وهلة، فهي لم تقل: وصل كتاب خطير، أو مزعج؛ بل

قالت: ﴿كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ وفي ذلك من التوفيق ما لا مزيد عليه، فالمشاكل والحروب إنما تبدأ بالكلام المستفز، فإن الحرب أولها كلامٌ، والكلام الحالي^(٥) يكسر العود اليابس، وذلك بداية الكلام، وأمارة التوفيق والنجاح

١٣- أبلغت الملكة قومها فوراً ليقرروا بأنفسهم مصير بلادهم، فهم الذين يدفعون نفوسهم ونفائسهم ويذلون مهجهم دفاعاً عن بلادهم، وهناك بونٌ شاسع بين قرار نابع من الشعب، وقرار من فرد مستبد، فالفرد منهزم لا محالة، ولو حرك الجيوش وأرغم الشعب إرغاماً، أما المقاومة الشعبية فلا تقهر أبداً، طال الزمان أو قصُر.

١٤- الشورى، الديمقراطية، والاستفتاء الشعبي نظام عرفه اليمينيون وطبقوه ومارسوه مع ملكتهم المباركة قبل خمسة آلاف عام وقد استحق هذا النظام أن يشيد به القرآن الكريم وأن يُخلدَ بسببه ذكرَ اليمينيين.

و كان المقترض ولا سيما بعد مبعث رسول الله محمد ﷺ خاتم المرسلين، ووصول الإسلام إلى اليمن، وتقديم هذا الشريف الإلهي لأهل اليمن الذي هو أرفع من أعلى الأوسمة

(٥) الحالي باللهجة المحلية يعني الطيب الرقيق الودي، يقال: طعم العسل حالي

العالمية، وأسمى من أي إشادة دولية؛ لأنه جاء في كتاب مقدس هو الوحيد الذي استعصى على التحريف، وأطبقت الأمم المسلمة على نصه المتداول في شرق الأرض وغربها كان الأحرى باليمنيين أن يكونوا أكثر الشعوب الأرض تشبثاً بالنظام الشوروي والحكم الديمقراطي، كشكر وامتنان الله رب العالمين الذي رفع قدرهم، ونوه بتأريخهم، وقدم الملكة بلقيس كأروع مثال نسائي أدار دفة الحكم من بنات حواء قاطبة.

١٥- دل قول الهدهد: ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾ أنها أول امرأة تحكم في الزمن القديم.

١- و دل قوله: ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أن المملكة كانت واسعة الثراء، وهذا يرجح امتداد ملكها إلى القرن الأفريقي فالحبشة والصومال وجيبوتي وإريتريا من جهة الغرب، وعمان والحجاز من الشرق والشمال، فكانت همزة وصل بين القارة الإفريقية وقارة آسيا، فازدهرت المملكة بالزراعة وإقامة السدود والمدرجات وتجارة الحبوب والبن والزبيب واللوز والسمن والعسل والمواشي

واللبان والبخور.

٢- ودل قوله: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ إلى مدى النفوذ والهيبة والقوة وانضباط أمر المملكة.

٣- كان الضعف الذي لاحظته الهدهد هو عبادة الشمس من دون الله، وذلك من تزيين الشيطان لعنه الله وإغوائه، فصدّهم عن السبيل فهم لا يهتدون إلى الله الخالق العظيم الذي يخرج الخبء: ﴿وَجَدُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ۗ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾.

٤- الخبء هو: المخبوء المستور عن الأنظار كنبات الأرض، وكنوزها، والمطر؛ وفي ذلك إشارة إلى أن الهدهد من خبراء الهندسة ومعرفة ما في باطن الأرض فقد زوده الله جلت قدرته، ولطف علمه بحاسة خارقة يرى بواسطتها منابع الماء تحت الأرض، وكان دليل سليمان على استخراج الماء عندما يكون في بقعة لا ماء فيها فيأمر

الجن فتسلخ الأرض عن النبع في لمح البصر فيجدون الماء
على الوصف الذي أشار به الهدهد.

٥- يحتمل أن يكون قوله: ﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ
الْحَبَّ﴾ من كلام الهدهد، وفي دليل على مدى تخصصه
في اكتشاف المُخَبِّأ في باطن الأرض، والتنبؤ بتزول
المطر، فهو مزود بأجهزة أقوى من أجهزة رصد التقلبات
الجوية، وهو يملك بصراً يفوق أي أشعة تخترق الجدران
والظلام فسبحان من أودع بديع قدرته في أضعف
مخلوقاته.

٦- و ربما يكون من كلام الله سبحانه، وفي ذلك إشارة إلى
تفوق هذا الطائر في التفكير السليم، والاهتداء إلى الله
اللطيف الخبير؛ حيث لم يهتد العقلاء من أمثال الملكة
بلقيس. فيجب على الإنسان أن يتواضع فرحم الله إمرءاً
عرف قدر نفسه. قال الشاعر:

وقل لمن يدعي في العلم معرفةً عرفت شيئاً وغابت عنك أشياء

٧- يجب تنزيل الناس منازلهم فالملكة: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي

أَلْقَى إِلَيَّ كِتَابَ كَرِيمٍ ﴿١﴾ ؛ لأن الكتاب مبدوء
بـ(بسم الله الرحمن الرحيم) ومعطر محتوم، والرسول
أنيق جميل، وقد قال رسول الله ﷺ: "إذا أتاكم كريم
قوم فأكرموه"، وقال ﷺ: "أنزلوا الناس منازلهم".
٨- وَجَازَةٌ الْكِتَابُ تَدُلُّ عَلَى أَنْ خَيْرَ الْكَلَامِ مَا قَلَّ وَدَلَّ،
ولكل مقام مقال، فالإيجاز له مقامه، والإطناب له مقامه.
٩- ما أجمل ما خاطبت به قومها: ﴿قَالَتَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي
فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾؛ حقاً فهذا
هو بيت القصيد في تعظيم القرآن لشأن الملكة بلقيس،
إنه رجوعها لرأي شعبها، فذلك صمام الأمان من
الكوارث والنكبات التي يجرُّها حُكْمُ الفرد المستبد
المغرور.

لقد شهَّرَ القرآن بالنموذج الإنساني البشع في تأريخ فرعون؛
فأي انحطاط وراء قوله: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ
الرَّشَادِ﴾، ﴿آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ﴾ لقد قذف بنفسه وقومه
في نهاية المطاف إلى أعماق البحر، وأوردتهم النار وبئس الورد

المورود.

وماذا فعل بألمانيا والعالم منفوخٌ مثل هتلر وبجواره معتوه إيطاليا
موسي ليني؟ وماذا كان مصير العراق في التاريخ الحديث العربي؟
وما سبب هزيمة العرب وانكسارهم أمام إسرائيل؟ أليس
الاستبداد؟ أليس حكم الفرد المشئوم؟

١٠ - انتزعت الملكة بلقيس طواعية وبطيب خاطر
طاعة قومها المطلقة؛ إذ فوضها شعبها تفويضاً مطلقاً
جعلها تحمله وسط قلبها، وفي سواد عينها فهي وشعبها
كالروح والجسد والسمن والعسل. وصدق الله: ﴿وَلَوْ
كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ
وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾.

١١ - إن الملوك يغلب عليهم طبيعة الفساد والإفساد
يتخذون مال الله دُولاً، وعباده حَوْلًا، نعم هكذا يخيل
لهم أن البلاد مزرعة خاصة، والبشر مجرد حيوانات
بعضها للذبح وبعضها للحرث، وبعضها للركوب
وبعضها للزينة.

وفي إخبار الملكة لقومها بهذه الحقيقة دليل على السمو والرفي،
ومحاولة الارتفاع بمستوى شعبها السياسي، وتعويدهم على
الشفافية، وأهم حصنها الحصين، وجسدها المعافي القوي؛ وهل
يرتفع الرأس على رجلين كسيحتين؟
فهي لم تحتقر قومها ولم تزعم أنهم غير ناضجين ولا مؤهلين
لإدارة شئون بلادهم؛ لأنهم في نظره ما زالوا قصارا وأطفالا؛
لذا فهم بحاجة ماسة للمُلهِم والرمز، والباي، والفذ، والمنقذ،
وحامي الحمى، وراعي الحقوق والحريات، والمتكفل بقوت
الشعب، والعبقري، والفيلسوف، وراعي الديمقراطية، والرئبان،
والفارس، والصقر، والصارخ العابر للقارات، وكل شيء، ولو
جرى له أي مكروه ينقطع المطر، ويتمزق البلد، ويتناحر الناس،
ويموتون في الطرقات جوعاً وعطشاً، وتسود الفوضى، وينهدم
الدين، وتقوم القيامة، فالله يحفظه ويحرسه وييقه مثل إبليس إلى
الأبد بالروح بالدم بالعظام بفيروس الكبد بالسرطان بالإيدز
نفديه!!! بالطاعون نحميه، من للأرامل الذكور؟ من لليتامى
الكبار؟ من للبنات والأمهات؟ من للمسحوقين والبائسين؟ من

للمسجونين والمقهورين؟ من للمسلوبة أموالهم؟
مَنْ ذَا نُفْدِي إِذَا مَا غَابَ قَائِدُنَا
لِمَنْ نَدُقُّ عِظَامَ الصِّدْرِ وَالْقَدَمِ
بِفَضْلِهِ أَصْبَحَ الرُّوتِي بِعَافِيَةٍ
أَشَدَّ جِسْمًا مِنَ الْمَسْوَاكِ وَالْقَلَمِ
صِرْنَا بِحِكْمَتِهِ أَضْحُوكةً وَعَظَمَاتٍ
وَجُوهْنَا مِنْ جَحِيمِ الْفَقْرِ كَالْحَمَمِ

١٢- (تهادوا تحابوا) والتنبيه لهذا الأسلوب يدل على
مدى الدهاء السياسي لدى الملكة، فلكي تكسب مزيدا
من الوقت لتستجلي حقيقة سليمان، وبصورة لبقة ودية
لا تتهم فيها بالمطاللة والمرواغة: «وَأَتَى مُرْسِلَةً إِلَيْهِمْ يَهْدِيَةٌ
فَنَظَرَتْ بِهِمْ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ».

١٣- تيقنت الملكة حين رفض سليمان الهدية: «قَالَ
أَتَمِدُّونَنِي بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرًا مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ يَهْدِيَتِكُمْ

تَفَرَّحُونَ» أنه ممدود بقوى غيبية، وليس طامعاً في بلادها
لتوسيع ملكه وزيادة ثروته، فعزمت مع وفد كبير من
كبار رجال الدولة إلى سليمان.

١٤- طلب سليمان إحضار العرش قبل أن تسلم الملكة
وقومها فَتَحَصَّنَ بالإسلام النفس والعرض والمال، حتى
وإن لم يكن بحاجة للعرش مادياً وإنما لغرض آخر، لكن
أي غرض بعد دخولها الإسلام لا يحل إلا برضاها.

١٥- العفريت من الجان الخبيث المنكر، ومن الشياطين
الخبيث المارد، ورغم أنه خبيث مارد إلا أنه عرض
صفتين يصلحان للمهمة وهما الأمانة والقوة فلا غنى
عنهما لأي عمل، ((إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيَّ
الْأَمِينُ)).

١٦- لم يكتف سليمان بقوة العفريت وأمانته وسرعته
المذهلة، بل طلب ما هو أقوى وأسرع فكان له ما أراد
بواسطة جبريل، أو ملك آخر أيد الله به سليمان، أو
وزير المصالح الصديق (آصف بن برخيا) وكان يعرف

الاسم الأعظم وهو: يا حي يا قيوم أو يا ذا الجلال والإكرام، فمد سليمان طرفه نحو اليمن فدعا صاحب علم الكتاب وأسرار الشرائع فغار العرش في مكانه بمأرب بقدره الله، وقبع في مجلس سليمان قبل أن يرتد طرفه، فحري بأصحاب المهمم أن يطلبوا أعلى الأمور.

١٧- اهتدى سليمان بتنكير العرش وجواها على سؤاله بذلك الجواب المدهش على رجاحة عقلها.

١٨- استدل بالصرح الممرد بالقوارير على رباطة جأشها وكيفية تصرفها عند المفاجآت، كما أراد التأكد بنفسه من إشاعة أطلاقها الجن أن بلقيس شعراء الساقين، وأن رجلها كحافر الحمار، وأن في عقلها شيئا؛ خوفاً أن يتزوجها، فلما كشفت عن ساقها ومرت فوق الصرح مُقَدَّرَةً أَنهَا لُجَّةٌ رَأَى أَجْمَلُ امْرَأَةٍ، وَأَعْقَلَ وَأَشْجَعَ مَنْ أَنْجَبْتَهُنَّ حَوَاءَ، فَصَرَفَ بَصْرَهُ ﴿وَنَادَاهَا إِنَّهُ صَرَحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾. كل هذا يدلنا على وجوب التحري وعدم تصديق الإشاعات والوشايات.

١٩- لا يتردد العقلاء من الانقياد للحق والاعتراف بالخطأ، والمبادرة إلى إصلاحه؛ لأن ذلك هو التصرف الصحيح وهو ما فعلته ملكة اليمن بدون تردد، وأعلنت إسلامها.

من الدلائل القرآنية في هذه القصة الشيقة ملاحظة أن وضع الشيء في موضعه. ذكر ما فعلته الملكة حين قدمت الاعتذار إلى الله تعالى، ولم تعتذر لسليمان؛ لأنه عبد الله مثلها، وهي لم تقصر في حقه، وإنما قصرت في حق ربها جل وعلا، فهو وحده من يُقَدَّمُ له الأسف والتوبة والندم والاعتذار وعلى عتبات بابه يليق التذلل وسكب الدموع، وإليه لا سواه يوجه النداء كما وجهته الملكة الكريمة وكما وجهه أبو البشر من قبلها، ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، اللهم حقق لنا ما وعدتنا، ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾.

٢٠- لم يرد القصص القرآني مجرد التسلية وإنما يحمل

دلالات، وأحكاما، وعبرا. وحمل قصص ملكة سبأ أن
المرأة قادرة على بلوغ المستوى الذي يعجز عنه الرجال
فهاهي قالت لهم: ﴿أَفْتُونِي فِي أَمْرِي﴾ كيف أواجه
المشكلة المعقدة التي تهدد البلد ونظامه فلم يسعفوها
بشيء سوى الاستعداد القتالي، وهو جهد عضلي لا
يساوي شيئا إزاء الجهد العقلي الذي تميزت به الملكة
المرأة، وكان أجدى وأنفع وأحمد عاقبة من تفكير
المقاتلين الأشداء الذين كانوا سيخسرون الحرب حتما.